آداب Adab
مجلة كلية الآداب جامعة الخرطوم
Journal of Faculty of Arts. University of Khartoum

ISSN 0302- 8844

مجلة علمية نصف سنوية محكمة. تصدر عن كلية الآداب – جامعة الخرطوم

العدد ٤٥. يوليو ٢٠٢١م

هيئة التحرير

رئيس التحرير

أ.د. حمد النيل محمد الحسن

مدير التحرير

أ.د. أزهري مصطفى صادق علي

أعضاء هيئة التحرير

أ.د. يحيى فضل طاهر

أ.د. فيروز عثمان صالح

د. سلمى عمر السيد

د. هالة صالح محمد نور

الهيئة الاستشارية

أ.د. فدوى عبد الرحمن على طه

أ.د. على عثمان محمد صالح

أ.د. جلال الدين الطيب

أ.د. رقية السيد بدر

أ.د. مبارك حسين نجم الدين

د. يونس الأمين

د. محاسن حاج الصافي

د. حسن على عيسى

د. تاج السر حران

توجه المراسلات باسم رئيس التحرير: كلية الآداب جامعة الخرطوم. ص. ب ٣٢١

أو ترسل على البريد الإلكتروني: adabsudan@gmail.com

المحتويات

القسم العربي

التناص، قراءة تطبيقية في بنية النص. "ديوان الهمداني نموذجاً". د. محمد مسعد سعيد سلامي..... ١

الأثر النَّفسيُّ والوجدانيُّ في منهج عبد القاهر الجرجانيّ. النَّقديّ والبلاغيّ. د. صدِّيق مصطفى الريَّح.. ٣٨

قصيدة سعدى بنت الشمردل الجهنية في رثاء أخيها أسعد. (دراسة تحليلية). د. مسفر بن محمد الأسمري..... ٦٥

البناء العارض للأسماء في الدّرس النّحويّ. أ. محمود سعيد خميس حسب الله ، د. زكي عثمان عبد المطلب عمر..... ٨٥

البنيةُ الإيقاعيّةُ وأثرُها في إذْكاءِ عاطفةِ الحُزْنِ لدي الشّاعر والمتلقّي مَرْثيّاتُ الهادي آدم نموذجا. د. علي عبد الله إبراهيم أحمد..... ١٠٥

مسألة تناوب حروف الجر. د. محي الدين محمد جبريل محمد ١٦٠

المعتقدات السودانية في الشعر السوداني. أ.د. حمد النيل محمد الحسن إبراهيم..... ١٩٠

النيل والصحراء في ضوء نتائج أبحاث مشروع كدرمة الآثاري بإقليم الشلال الثالث. د. محمد البدري سليمان بشير..... ٢٠٧

دخول الإسلام بلاد السودان قبيل القرن السادس عشر الميلادي. د. عبدالرحمن ابراهيم سعيد علي. ٢٤١

جمعية ود مدني الأدبية ودورها السياسي والثقافي والاجتماعي في الحركة الوطنية السودانية. د. عمر عبد الله حميدة..... ٢٧٦

القسم الأجنبي

Radio as a Disseminator of Copyrighted Literary and Artistic Works a Descriptive Study of Radio Omdurman, Sudan. Amel Ibrahim Ahmed Abuzaid…….. 307

The Healing Power of Personal Narrative. Amel Mohamed Saeed Bayoumi…….. 325

قواعد النشر وشروطه

آداب مجلة علمية محكمة تصدر في يونيو وديسمبر من كل عام عن كلية الآداب جامعة الخرطوم وتقبل البحوث في مجالات الآداب والفنون والعلوم الإنسانية مع مراعاة الآتي:

١. ألا يكون البحث المقدم للمجلة قد نشر أو قدم للنشر في مكان آخر.
٢. تخضع البحوث المنشورة في هذه المجلة للتحكيم العلمي الذي يتولاه أساتذة مختصون وفق ضوابط موضوعية.
٣. تسلم نسختان مطبوعتان من البحث على معالج نصوص (حاسوب) مع أسطوانة مدمجة تحتوي على البحث. أو ترسل على البريد الإلكتروني adabsudan@gmail.com.
٤. يراعى في البحث أن يتراوح حجمه بين ٣٠٠٠-٥٠٠٠ كلمة، ويرفق الباحث مستخلصاً باللغتين العربية والإنجليزية لبحثه بما لا يتجاوز صفحة واحدة (٢٠٠) كلمة، ويذيل هذا المستخلص بما لا يزيد على خمس كلمات مفتاحية تبرز أهم المواضيع التي يتطرق إليها البحث. ويراعى أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على عنوان البحث واسم الباحث، والجامعة أو المؤسسة الاكاديمية وعنوان البريد والبريد الالكتروني.
٥. تنشر المجلة مراجعات الكتب بحدود (٢٠٠٠) كلمة كحد أقصى، على ألا يكون قد مضى على صدور الكتاب أكثر من عامين، ويدون في أعلى الصفحة عنوان الكتاب واسم المؤلف ومكان النشر وتاريخه وعدد الصفحات. وتتألف المراجعة من عرض وتحليل ونقد، وأن تتضمن المراجعة خلاصة مركزة لمحتويات الكتاب. مع مراعاة الاهتمام بمناقشة مصداقية مصادر المؤلف وصحة استنتاجاته.
٦. أن يوثق البحث علمياً بذكر المصادر والمراجع التي اعتمدها الباحث في نهاية البحث. وترتب المراجع في نهاية البحث هجائياً على ألا تحتوي قائمة المراجع إلا على تلك التي تمت الإشارة إليها في متن البحث. يشار إلى جميع المصادر في متن البحث كالطريقة التالية (اسم العائلة. سنة النشر. الصفحة او الصفحات) مثال: (Adams. 2000. 14). وتوثق في قائمة المراج والمصادر كما يلي:

للكتب:

- أحمد بدوي. **أسس النقد الأدبي عند العرب**، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٦٤م.

للمقالات:

- قاسم المومني. علاقة النص بصاحبه دراسة في نقود عبد القاهر الجرجاني الشعرية، **عالم الفكر**، الكويت: العدد الثالث يناير/ مارس ١٩٩٧م. ١١٣-١٢٨.

٧. تعبر البحوث التي تنشرها المجلة عن آراء كاتبيها، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة أو أية جهة أخرى يرتبط بها صاحب البحث.
٨. لهيئة التحرير الحق في إدخال التحرير والتعديل اللازمين على الأبحاث. وتعد هيئة التحرير رأي محكم المقال نافذاً بالنسبة لنشر البحث أو عدمه أو إدخال التعديلات التي يوصي بها المحكم.

دخول الإسلام بلاد السودان

قبيل القرن السادس عشر الميلادي

د. عبدالرحمن ابراهيم سعيد علي

أستاذ مشارك – قسم الاثار – جامعة الخرطوم

المستخلص:

تتناول الورقة تاريخ واثار فترة تعد من أهم الفترات في تاريخ السودان وأكثرها غموضا، وهي الفترة من القرن السابع الميلادي وحتى قبيل القرن السادس عشر الميلادي- وهي الفترة التي شهدت بدايات دخول الاسلام بلاد السودان وقبيل قيام دولة الفونج الاسلامية عام ١٥٠٤م- وهي من الفترات التي لم تنل حظها الوافر من الدراسة على الرغم من أهميتها. تناول البحث وبشئ من الحذر بدايات دخول الاسلام في السودان ونشؤ ممالك اسلامية صغيرة في ظل الممالك المسيحية مثل مملكة السكراب، امارة العمري ومملكة الغديات الاسلامية، ذلك من خلال ابراز أهم أنواع العمارة والفنون الاسلامية بها من مدافن، قباب، مساجد، أضرحة، شواهد قبور، كتابات وفخار اسلامي.

Abstract:

This paper highlights on one of the most periods of the history of the Sudan "Islamic period". It extends from the seventh century AD up to the period precedes the sixteen century AD-the beginning of the entry of Islam to Sudan, i.e before the establishment of the Funj Kingdom.There are no enough studies on this important period. The paper investigates the beginning of the entry of Islam to Sudan and the establishment of the small Islamic Kingdoms (Al-Sukkrab, Al-Umari, and Al-giddyat) by using archaeological remains cemetries, domes, mosques, shrines, tombstones, inscriptions, and Islamic pottery.

مقدمة:

تعد الفترة من القرن السابع الميلادي – بداية دخول الاسلام بلاد السودان – وحتى قبيل القرن السادس عشر الميلادي – قبل قيام دولة الفونج الاسلامية – من الفترات المهمة في تاريخ السودان، على الرغم من عدم توفر المصادر والمراجع، والتي أحسب أنها تحتاج لمزيد من البحث والتقصي. كما ويجب الانتباه ولفت نظر الباحثين والمهتمين بالتراث بالبحث والغوص في غياهب تلكم المرحلة، خاصة من الناحية الاثارية، والتي أحسب أنها وجدت كثير من الاهمال والنسيان بل وحتى الضياع. وقد مرت المنطقة خلال هذه الفترة بمتغيرات ربما كانت رئيسية أثرت بطبيعة الحال على نوعية الأدلة والمواد الأثرية. ومن المعروف بان تلك الفترة شملت قيام ونشؤ وازدهار الممالك المسيحية الثلاثة في بلاد النوبة وحتى فترات اضمحلالها، أي فترة العصر الوسيط في بلاد النوبة، وخلال تلك الفترة كانت هنالك هجرات عربية ضخمة الي بلاد السودان، بالاضافة الي نشؤ وقيام ممالك اسلامية صغيرة في ظل الممالك المسيحية هذه، مثل السكراب في منطقة الشلال الثالث (المحس) وامارة العمري الاسلامية في منطقة وادي العلاقي ومملكة الغديات في كردفان.

الموقع:

يقع السودان، هذا البلد المترامي الأطراف، بين دائرتي عرض ٤° - ٢٣° شمالاً، وخطي طول ٢٢ ٣٨° شرقاً. حيث تصل مساحته الي حوالي مليون ميل مربع وهو من أكبر دول القارة الأفريقية (٣,٨٪ من مساحة أفريقيا) (قبل انفصال دولة جنوب السودان). يحده من الشمال جمهورية مصر العربية وليبيا، ومن الجنوب دولة جنوب السودان وكينيا ويوغندا والكنغو وغربا تشاد وافريقيا الوسطي وشرقا اثيوبيا واريتريا.

شكل هذا القطر بمختلف أقاليمه وبتنوع جغرافية قطاعاته وسكانه، نموذجا فريدا للاثار الاسلامية في القارة الافريقية، وعنصراً مؤثراً بدرجة كبيرة على تطور وتشكيل ثقافات وحضارات وتراث تلك المناطق، كما تشهد عليه نظريات تطور ونشؤ الحضارات في العالم القديم والقارة الأفريقية تحديداً، كما كان لحوض النيل والأنهار المغذية له دوراً فاعلاً في تشكيل حياة سكانه وثقافتهم وحضارتهم المميزة.

البيئة الطبيعية:

يمتلك السودان مناخات متنوعة وبالتالي بيئات مختلفة، ويتميز كذلك بالمناخ المداري، ولذا يتدرج مناخه من المناخ الاستوائي في الجنوب (قبل الانفصال) والسافنا في الوسط ثم المناخ الصحراوي في الشمال، ومنطقة البحر الأحمر في الشرق والتي تتميز بمناخ البحر الأبيض المتوسط وبأمطار شتوية. وتهطل أغلب أمطار السودان في فصل الصيف، وتتدرج في مدتها وكميتها من الجنوب الي الشمال، وهنالك أمطار قليلة في الشتاء على سواحل البحر الأحمر الغربية. وتتأثر النباتات الطبيعية في نوعها وحجمها بثلاث عوامل هي الحرارة والمياه والتربة. وليس هنالك ما يعوق نمو النباتات في السودان في أي فصل من فصول السنة. وهنالك اختلاف في نوع النبات يعتمد على العوامل الثلاثة المذكورة اعلاه (شقير: ١٩٧٢). ويبدو من وصف الكتاب القدماء لهذه البلاد أنه لم يطرأ تغيير ظاهر على بيئتها الطبيعية، عدا بعض الشئ الذي تناوله الانسان بالتعديل أحيانا وبالتهذيب أحيانا أخري. ويتميز السودان كذلك بجبال ومرتفعات وهضاب أثرت على بيئة وطبيعة المنطقة.

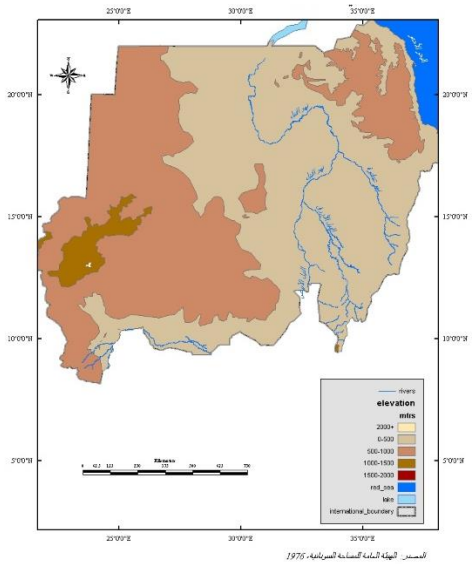

خريطة رقم (١)

الارتفاعات في السودان (بعد الانفصال)

السكان:

كانت الأسماء التي تطلق على السودان القديم دالة في بعض الأحيان على نوعية السكان الذين استوطنوا فيه، كما أطلقت أسماء تدل على الأرض التي عاشوا فيها. ولفظة (بلاد السودان – أي بلاد السود) فقد أطلقها المؤرخين العرب على البلاد الواقعة الي الجنوب من الصحراء الكبري (بكر: ١٩٩٨: ٧). وقد أستخدم الكتاب المؤرخين والجغرافيين العرب القدامي ممن كتبوا عن مختلف عهود الاسلام لفظة السودان، ونجد أنهم استخدموها بنفس المعاني عند قدماء المصريين والاغريق وكذلك التوراة، يقول القزويني (جميع السودان من ولد كوش بن كنعان بن حام... وحكمة سوادهم لاحتراقهم بالشمس) وكان استخدام العرب لكلمة سودان بنفس المعني الاغريقي أي الوجه الذي أحرقته الشمس، ويقول الادريسي: (وهذه البلاد كثيرة الحر، حامية جدا ولذلك أهل هذا الاقليم لشدة الحر واحراق الشمس لهم كانت ألوانهم سوداء (خوجلي: ٢٠٠٠: ٥٤). وقد أطلق اسم السودان على أمة عظيمة من الناس قسمت الي طوائف، ويطلق بلاد السودان على المنطقة الممتدة من المحيط الاطلنطي غربا الي وادي النيل والبحر الأحمر حتى هضاب الحبشة شرقا، وأكثر دقة فانها المنطقة التي تقع بين دائرتي عرض ٥٩ ١٧ شمالا وبذلك أطلقت على المنطقة الممتدة جنوب بلاد المغرب، جنوب مصر وشمال الغابات الاستوائية (الصديق: ٧٦: ٢٠٠٥).

وكما ذكر البكري في كتاب المسالك والممالك – كلمة سودان في القرن (٥هـ – ١١ م) على ذلك الجزء من غرب افريقيا، أما الجاحظ في كتاب فخر السودان على البيضان، ذكر أن الاسم يطلق على الجزء الواقع غرب افريقيا أيضا، فيما ذكر القلقشندي أن بلاد السودان يحدها من الغرب المحيط ومن الجنوب الخراب مما يلي خط الاستواء ومن الشرق بحر القلزم (البحر الأحمر) مما يقابل بلاد اليمن ومن الشمال براري تمتد ما بين مصر وبلاد عرب مغاربة من جنوب المغرب الي البحر المحيط، ويضيف القزويني في وصف بلاد السودان بأنها " أرض واسعة شمالا الي أرض البربر وجنوبها البراري وشرقها الحبشة وغربها المحيط، ثم تحدث عن "البيئة والطبيعة" (مسعد٢: ١٩٧٢: ٢٣٠-٢٨٣). كما ذكر ابن خلدون بأن السودان أصناف وشعوب وقبائل أشهرهم بالمشرق الزنج، النوبة، الزغاوة، الكانم، ومن غربهم كوبو، التكرور ويتصلون بالبحر المحيط الي غينيا (مسعد٢: المصدر السابق: ٢٧٦).

مصادر الدراسة:

كان لا بد من القاء الضؤ على مصادر دراسة هذه الفترة حتى نلفت انتباه الباحثين والدارسين المتخصصين وغير المتخصصين من لديهم اهتمام بالتراث بأهمية تلك الفترة في تاريخ السودان، وهي ليست دراسة متخصصة ولكنها اشارات ومقدمات عامة عن تلك المصادر، الهدف منها محاولة التعرف عليها ودورها ومساهمتها في اماطة اللثام عن تلك الفترة، حيث معاناة المكتبات من ندرة في كتب الرحالة والمؤرخين والجغرافيين العرب وكتب التاريخ وكذلك المخطوطات، وحتى تكتمل المصادر لدراسة هذه الفترة كان لزاما علينا التحدث ولو بشئ من الحذر عن مصدرين نجزم بأنهما سوف تكتمل بهما دراسة تاريخنا في السودان، وهما علم الاثار وطريق الحج الافريقي وهما من العلوم أو المصادر التي وجدت كثير من الاهمال والنسيان بل وحتى عدم المعرفة من الكثيرين بهما. كل تلك المصادر مجتمعة سوف تسهم وبصورة كبيرة في اظهار أو حتى تكمل ما بدأته الدراسات والبحوث في التاريخ السياسي والثقافي والاجتماعي والحضاري للسودان، الا أنه يجب أخذها بشئ من الحذر والدقة، فبالرغم من أهمية هذه المصادر الا أنها تحتاج الي شئ من الحذر والتقصي والبحث والدراسة كذلك، الي جانب أن بعض الدراسات التي تناولت تاريخ هذه الفترة ما زالت حتى الان في خطوطها العامة التي أرساها المؤرخون الأوائل (المعتصم: ٥: ٢٠٠٢)، ومن أقدم المصادر التي تحدثت عن هذا الموضوع هو ما نجده في:

١. كتب الرحالة والمؤرخين والجغرافيين العرب الذين زاروا السودان في تلك الفترة:

شهدت هذه الفترة توفر قدر لا بأس به من المادة المكتوبة عن أحوال السودان في تلك المصادر العربية الخاصة بكتابات المؤرخين والرحالة العرب، والتي مكنت من التعرف على بعض من أحواله قبل القرن السادس عشر الميلادي، فنجدهم قد اهتموا بتاريخ النوبة في العصر الوسيط منذ الحروبات الأولي بين النوبة والمسلمين في ٦٤١-٦٥٢م بعد أن تم السيطرة على مصر بواسطة العرب والمسلمين واستمر اهتمامهم بالنوبة حتى سقوط مملكتي المقرة وعلوة وتحول النوبيين الي الاسلام وعن الأوضاع السياسية في بلاد النوبة وعلاقتها بالخلافة الاسلامية في مصر، وفي هذا السياق نود أن نشير هنا الي المسلمين ووجودهم في بلاد النوبة في تلك الفترة، فنجد في كتاب البلدان لليعقوبي (٢٨٤ هـ – ٨٩٧م) يقول: (.. فأما من قصد من العلاقي الي بلاد النوبة الذين يقال لهم علوة، فيسير ثلاثين مرحلة بعضها الي كباو، ثم موضع يقال له الأبواب، ثم الي مدينة

علوة العظمي التي تسمي سوبة، وبها ينزل ملك علوة، والمسلمون يختلفون اليها..) (مسعد٢: المصدر السابق: ١٨).

ولعل أهم ما تضمنته هذه النصوص العربية الاشارة الي أمرين: أولها كثرة مناجم الذهب والزمرد التي تحويها أوطان البجة، وثانيها هجرة كثير من القبائل العربية الي أوطان البجة والعمل في مناجمها، وقد كان لبعض هذه القبائل صلات قبل الاسلام بالبجة وأوطانها، لكن الغالبية من هذه القبائل جاءت عقب ظهور الاسلام، ومن ثم نلاحظ الدور الذي يمكن أن يقوموا به في نشر الاسلام وسط أوطان البجة.

أيضا ذكر اليعقوبي: (.. ومن العلاقي الي أرض البجة الذين يسمون الحدارية، والكذبين، خمس وعشرون مرحلة. ومدنية ملك البجة الحدارية يقال لها هجر، يأتيها الناس من المسلمين للتجارات..) و (.. ومن العلاقي الي أرض البجة الذين يقال لهم الزنافجة، يقال لهم بقلين، وربما صار المسلمون اليها للتجارات (مسعد٢: المصدر السابق: ١٩-٢٠).

أما ابن حوقل (٣٥٠هـ-٩٦١م) في كتاب صورة الارض: (.. ودجن هذه قري متصلة ذوات مياه، ومشاجر وزرع وضرع. والي وسط هذا الوادي تفلين قري أيضا للبادية منهم، ينتجعونها للمراعي حين المطر، ولهم ملك مسلم يتكلم بالعربية من قبل صاحب علوة. ويختص أهل تفلين بالإبل والبقر، ولا زرع لهم، منهم مسلمون كثيرون من غير ناحية على دينهم، يتجرون ويسافرون الي مكة وغيرها..) (مسعد٢: المصدر السابق: ٧٤).

كذلك ابن سليم الأسواني (ت ٣٨٦هـ-٩٩٦م) في كتاب أخبار النوبة والمقرة وعلوة والبجة والنيل: (.. ومنها الي الجنادل الأولي، من بلد النوبة عشر مراحل، وهي الناحية التي يتصرف فيها المسلمون، ولهم فيها قرب أملاك، ويتجرون في أعلاها وفيها جماعة من المسلمين قاطنون لا يفصح أحدهم بالعربية..) (مسعد٢: المصدر السابق: ٩٢).

المقصود هنا بالجنادل الأولي: الأراضي النوبية جنوبي حلفا القديمة، والمقصود هنا بالمسلمون هم النوبيون الذين اعتنقوا الاسلام ولم يتعلموا العربية، بل ظلوا محتفظين بلغتهم العربية.. والراجح أن اعتناقهم للاسلام سبق تعلمهم العربية.

أيضا ذكر (.. وسوبة مدينة العلوي شرقي الجزيرة الكبري.. وفيها أبنية حسان ودور واسعة وكنائس كثيرة الذهب وبساتين، ولها ربض فيه جماعة من المسلمين..) (مسعد٢: المصدر السابق: ١٠٢).

ونجد ناصر خسرو (ت ٤٨١هـ-١٠٨٨م) في سفرنامه (.. ومدينة عيذاب هذه تقع على شاطئ البحر وبها مسجد جمعة، وسكانها خمسمائة، وهي تابعة لسلطان مصر..) (مسعد٢: المصدر السابق: ١١٨).

أما الرحالة المشهور ابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ-١٣٧٧م) في كتابه تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار: (.. وبمدينة عيذاب مسجد ينسب للقسطلاني، شهير البركة، رايته وتبركت به، وبها الشيخ الصالح موسي، والشيخ المسن محمد المراكشي، زعم أنه ابن المرتضي ملك مراكش، وان سنه خمس وتسعون سنة..) (مسعد٢: المصدر السابق: ٢٥٤).

والعمري (ت ٧٤٩هـ-١٣٤٨م) في كتابه مسالك الأبصار في ممالك الأمصار عن سواكن: (.. وجزيرة سواكن ليس بها مملكة مشهورة، ولا متاجر مذكورة، وكل أهلها مسلمون قائمون بالاسلام..) (مسعد٢: المصدر السابق: ٢٤٥). كذلك المقريزي (ت ٨٤٥هـ-١٤٤٥م) في كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار: (.. وجزيرة سواكن أقل من ميل في ميل، وبينها وبين البحر الحبشي بحر قصير يخاض، وأهلها طائفة من البجة تسمي الخاسة، وهم مسلمون ولهم فيها ملك) (مسعد٢: المصدر السابق: ٢٩٥). كذلك نجد من الكتابات الأخري العربية ومن كتاب غير عرب مثل أبي صالح الأرمني والمخطوطات التي كتبت باللغات العربية والنوبية والقبطية بالاضافة الي وثائق قصر ابريم والأرشيف العثماني في القاهرة وهي حوالي ١٢٢ وثيقة تتناول قضايا الأرض والزواج والتغيرات التي حدثت في بلاد النوبة ابان انهيارها (Hinds & Hamdi: 1986).

٢. المصادر التاريخية:

أما المصادر التاريخية التي تتحدث عن تلك الفترة، وعلى الرغم من قلتها الا أنها ساهمت وبصورة فعالة، مباشرة أو غير مباشرة، في القاء المزيد من الضؤ على هذه الفترة قبل القرن السادس عشر الميلادي.

ومن أشهر كتب التاريخ التي تحدثت عن تلكم الفترة على سبيل المثال لا الحصر نجد بروفيسور يوسف فضل حسن ١٩٦٧م (The Arabs and the Sudan)، ١٩٧١م مقدمة في تاريخ الممالك الاسلامية في السودان الشرقي ١٤٥٠-١٨٢١م الطبعة الأولي) (١٩٧٥م دراسات في تاريخ السودان -١٩٨٩م دراسات في تاريخ السودان وافريقيا وبلاد العرب). وابن خلدون (١٩٦٧م كتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر). ادم الزين (١٩٧٠م التراث الشعبي لقبيلة المسبعات). الشاطر بصيلي (١٩٥٥م معالم تاريخ سودان وادي النيل). عبدالمجيد عابدين (١٩٦٧م تاريخ الثقافة العربية في السودان). نعوم شقير (١٩٦٧م جغرافية وتاريخ السودان القديم). H.A. MacMichael, a History of the Arabs in the Sudan: 1922). مصطفي مسعد (١٩٦٠م الاسلام والنوبة في العصور الوسطي) و (١٩٧٢م المكتبة السودانية العربية) والدكتور أحمد الياس حسين (٢٠١٢م السودان: الوعي بالذات وتأصيل الهوية، الجزء الثاني السكان حتى القرن الخامس عشر الميلادي) و(٢٠١٢م السودان: الوعي بالذات وتأصيل الهوية، الجزء الأول سكان السودان حتى القرن السابع الميلادي، الجزء الثاني السكان حتى القرن الخامس عشر الميلادي أما الجزء الثالث علاقات السودان بالمسلمين في مصر بين القرنين ٧-١٥م) وغيرها من الكتب.

٣. المصادر الاثارية:

أما فيما يخص المصادر والبحوث في مجال الاثار فقد تمت عدة محاولات لفهم الثقافة المادية للاسلام. في المسوحات الاثارية التي تمت في الفترة ما بين ١٩٠٧-١٩٥٩م تم استبعاد المخلفات الاسلامية، عدا العالم (مونيرت دي فيلارد) قام بتسجيل بعض المساجد والمدافن أثناء بحثه عن الاثار المسيحية في منطقة النوبة السفلي. كما قام العالم الألماني (هنكل) بعمل أطلس للمواقع الاثرية الاسلامية المعروفة في السودان، ولكن لم يتم اجراء أي بحث أثري فيها. أما في مجال الأوراق البحثية في هذا المجال نجد اركل (١٩٣٧م) و(١٩٤٦)، وعثمان (١٩٨٢م) وادامز (١٩٨٧م)، الي جانب الاسهامات الاثنوغرافية في مجلة السودان وقائع ومدونات (Sudan Notes & Records).

بعد ذلك ظهرت بعضا من اهتمامات طلاب الاثار ضمن مشروعات التخرج لنيل درجة البكلاريوس مرتبة الشرف في قسم – الاثار – جامعة الخرطوم، فكانت المسوحات الاثرية التي تمت بواسطة هاشم السنجك (١٩٧٨: قري)، كمال يونس (١٩٧٩: عين فرح)، الفاتح حسين

(١٩٧٩: ابو حراز)، الطيب خليفة (١٩٧٩: اربجي)، انتصار صغيرون (١٩٨٢: سنار). كما نجد رسائل الماجستير والدكتوراة، ابراهيم موسي (١٩٨٦: دارفور)، انتصار صغيرون (١٩٨٧: القباب في وسط السودان) و(٢٠٠٠: الاثار الاسلامية في السودان)، عبدالرحمن ابراهيم (٢٠٠٥: الاثار العثمانية في السودان)، أحمد حسين (٢٠٠٥: الامتداد السياسي والثقافي لدولة الفونج بين الشلالين الرابع والثالث)، محمد فتح الرحمن (٢٠١٤: الاثار الاسلامية في منطقة الشلال الرابع)، هالة ساتي (٢٠١٦: الثقافة المادية للطرق الصوفية – دراسة حالة مسيد طيبة الشيخ عبدالباقي)، هناء عبدالجبار (٢٠١٦: الفخار الاسلامي – دراسة مقارنة بين سواكن، سنار والخندق).. وغيرها من البحوث والدراسات.

في مجال الحفريات الاثارية نجد ادامز (١٩٩٤-١٩٩٩م في كلوبنارتي)، وكاستيليوني وكريم الصدر (١٩٩٤-١٩٩٨م في وادي العلاقي)، جون الكسندر (١٩٩٧م قصر ابريم وجزيرة صاي).

٤. طريق الحج الافريقي:

من المعروف أن طريق الحج بدأ حال دخول الاسلام ممالك غرب افريقيا، وهو متصل بعاملين أساسيين: الأول: رغبة المسلمين (الحجاج) بزيارة بيت الله الحرام وقبر الرسول (ص)، فغاية أمنية كل مسلم في غرب افريقيا أن يصل الأراضي المقدسة ولو مرة واحدة قبل مفارقته الدنيا. الثاني: قيام ممالك غرب افريقيا على نظرية "الرجل الغريب الذي جاء من الشرق".

ومنذ دخول الاسلام وانتشاره وسط الممالك الافريقية الغربية، دأب مسلموها على ركوب الصعاب وارتياد عدد من الطرق التي تؤدي الي بيت الله الحرام للوصول الي هناك لأداء شعائر الحج، ذلك اما عبر الصحراء الكبري عن طريق فزان الي مصر ثم الحجاز، أو عن طريق المحيط الأطلسي عبر بلاد المغرب ثم الي مصر ومنها الي الحجاز، وطريق اخر عبر حزام السافنا الي بلاد الهوسا وتشاد والسودان ومنها الي الأراضي المقدسة (أبومنقة: ١: ٢٠٠٦).

وهنالك عدد من الطرق القارية التي تربط دارفور وممالك غرب افريقيا وتمر بمدن مثل مدينة أوري في غرب السودان والتي كانت تمثل حلقة وصل لحجاج غرب افريقيا وتربطهم بموانى مصوع وعيذاب وسواكن ومنها الي جدة والأراضي المقدسة، وعبر هذه الطرق والموانئ كان سلاطين دارفور يرسلون المحمل والذي يحمل كسوة الكعبة التي عرفت "بصرة الحرمين الشريفين"، والتي

تشمل نفائس دارفور من سن فيل وريش نعام وعسل وصمغ يباع في مصر وتحول قيمتها لكسوة الكعبة الشريفة. ويعد درب الأربعين من أهم طرق القوافل، والذي يأتي من غرب وجنوب غرب وشمال غرب افريقيا، ويمر بمدينة أوري والفاشر (عاصمة الفور) ومنها الي سنار وكسلا حتى موانئ عيذاب وباضع وسواكن ومنها عبر البحر الأحمر الي أرض الحجاز واليمن. بينما يواصل طريق القوافل البري الاخر شمالا مارا بواحة سليمة والنخيلة حتى مصر. طريق اخر يبدأ من دراوة بمصر الي أبوحمد، شندي، سنار، كسلا حتى سواكن بهدف التجارة. ومن الطرق الأخري التي ساهمت وساعدت على ازدهار مدينة الفاشر الطريق الذي تسير به القوافل من طرابلس بليبيا ومدينة الكفرة ومدن الواحات مارا بمنطقة العوينات ثم تسير القوافل حتى مدينة مليط والفاشر وتواصل السير الي دنقلا ووادي حلفا وأسوان بمصر بينما يتجه طريق اخر عبر مدن سنار، كسلا، سواكن وعيذاب الي أرض الحجاز لنقل الحجاج من دارفور والدول الافريقية الأخري وللتبادل التجاري (حسين: ٢٠٠٦: ٦).

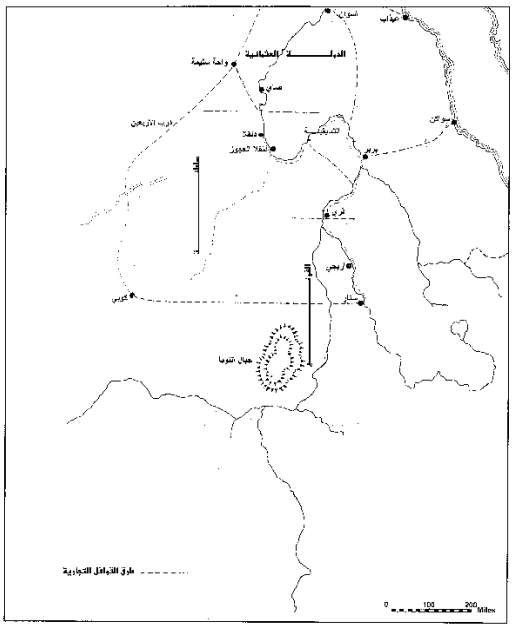

خريطة رقم (٢)

أهم الطرق التجارية المصدر: أحمد حسين ٢٠٠٥

٥. الروايات الشفاهية:

تعد الروايات الشفاهية من أكثر المصادر أهمية بالنسبة لتاريخ الشعوب التي ليست لها كتابات، بل عرفت بأنها أساس كثير من المصادر المكتوبة وبخاصة مصادر الاثار القديمة وبدايات العصور الوسطي (فانسينا: ٨١: ١٩٨١). ويري (اوليفر) أن المأثورات الشفاهية جديرة بالبحث في أحوال كثيرة، وأنها لا تتأثر بالوظائف التي تحققها الي درجة تفقدها كل قيمة كمصدر تاريخي، ولكن قيمتها التاريخية يمكن أن يحكم عليها فقط بمقارنتها بشاهد أثري قد يؤيدها أو يدحضها (Oliver: 1955: 23). ومن أكثر الروايات الشفاهية تداولا بين الناس عامة وأهل الاختصاص على وجه الخصوص، والتي أرخت لجزء كبير من السودان، والذي سماه مؤلفه ب "الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان، كما دون فيه – على حد تعبيره – ما شاهد وسمع وسجل بعض ما سمعه ممن شاهد أو سمع أو تواتر ذكره عند الناس. كما واستمر تداول ووجود الروايات الشفاهية كمصدر مهم من مصادر تاريخ الكتابات السودانية. وهنالك عدد من الكتاب السودانيين اعتمدوا في كتاباتهم على الروايات الشفاهية مثل محمد عبدالرحيم (نفثات اليراع في الأدب والتاريخ والاجتماع) ومحمد صالح ضرار (قبائل البجه) والفكي الفحل الطاهر (تاريخ واصول العرب بالسودان) وغيرهم من الكتاب. ولكن ما زال تعاني كثير من المؤسسات العلمية والبحثية قصورا في الاهتمام بالروايات الشفاهية.

٦. المخطوطات:

ألقت المخطوطات الضؤ على كثير من جوانب الحياة المختلفة، فنجد بعضها مؤلفات في الفقه والميراث، وفي تشكيل الشخصية السودانية على الأقل من منظور ثقافته الفقهية على مذهب الامام مالك كمختصر خليل بن اسحق، وهنالك كتب في العقيدة تمثل فترة الممالك الاسلامية في بلادنا مثل طبقات ود ضيف الله، وأخري مؤلفات في علوم القران مثل (منظومة المدات في التجويد لمؤلفها الشيخ عبدالرحمن الأغبش)، وكتب الرحلات من المصادر الاساسية لمعرفة تاريخ السودان خاصة العصر الوسيط، أما كتب الأنساب فهي من المصادر المهمة في معرفة أصول القبائل والجماعات وبعض أخبارها، وقد حرصت الأسر عليها تاكيدا لانتمائها العربي وانتسابها لال البيت وغيرها مثل مخطوطة واضح البيان في ملوك العرب بالسودان وملوك العبدلاب، وشجرة نسب المحس ومخطوطة كاتب الشونة وغيرها من المخطوطات.

دخول الاسلام بلاد السودان قبيل القرن ١٦:

لقد كان السودان شمال نهر السوباط مفتوحاً قبل الاسلام لدخول العرب، وقد قبل أهله الإسلام والتغيرات التي حدثت في دار الإسلام من الشمال (مصر) ومن الشرق (الحجاز)، وما كانت إمارة العمري في الصحراء الشرقية، أو سلطنات التنجور والكيرا في غرب السودان، ومملكة الفونج في الوسط إلا تطوراً لتلك الهجرة العربية البطيئة.

وعند الحديث عن دخول الاسلام بلاد السودان لابد أن نشير الي أن اتخاذ الفواصل بين فترات التطور الثقافي للبشرية يكون عادة من أجل تسهيل عرض الحوادث، ولكن الحقيقة الواضحة أنه لا توجد نهايات فاصلة ولا بدايات حاسمة، بل هي مراحل تداخل بين فترة وأخري. ومن هذا المنطلق لا بد هنا من أن نبدأ حديثنا من **العصور الوسيطة** والتي تمثل في التقسيمات الرسمية فترة الممالك المسيحية الا أنها الفترة التي بدأ فيها المد الإسلامي يظهر، ولكن ببطء وبصورة غير ملحوظة لأنه لم يكن بصورة رسمية.

وتمثل فترة العصر الوسيط في السودان مرحلة هامة من مراحل تاريخه الثقافي والحضاري، ويحيط بهذه المرحلة الكثير من الغموض لقلة المصادر. إلا أن ما كتب عن هذه الفترة لا يعدو أن يكون سوى إشارات عرضية على لسان مؤلفي ومؤرخي العصور الوسيطة وحتى هذه الإشارات العرضية القليلة لم تخلُ أحياناً من مبالغات أو تحريفات. أما كتابات أهل النوبة أنفسهم باللغة النوبية، أو النصوص اليونانية أو القبطية يضاف إلى ذلك ما تكتنزه المخطوطات الكنسية بالإسكندرية أو القسطنطينية كانت محددة القيمة من الناحية التاريخية. وما وجد منها لا يحتوي على كل جوانب الحياة المختلفة وإنما انحصر دورها في الجانب الديني (مسعد١: المصدر المذكور: ٤٣). وقد عرف المؤرخون والجغرافيون العرب في العصور الوسيطة بلاد النوبة بأنها البلاد التي تقع في الجنوب من مصر على جانبي نهر النيل قرب مدينة أسوان شمالاً حتى التقاء النيلين الأبيض والأزرق جنوباً، إضافة إلى مناطق من حوض النيل الأزرق وما يليها غرباً (إقليم كردفان ودارفور) إلى جانب حوض نهر عطبرة حتى أطراف الحبشة شرقاً.

ويعد التاريخ الزمني أو الفترة الزمنية من أكثر المفاهيم تعقيداً وذلك فيما يتعلق ببداية فترة العصور الوسيطة ونهايتها، هذا وتشير بعض المصادر إلى أن هذه الفترة تعنى بدراسة التطور الثقافي الحضاري لبلاد النوبة بدءاً من حقبة ما بعد مروي وبالتحديد الفترة التي شهدت قيام

الممالك المسيحية في بلاد النوبة وتستمر حتى بداية ظهور الحضارة الإسلامية في السودان أي الفترة ما بين ٥٠٠-١٥٠٠م (علي عثمان: ١٩٨٠: ٦٦).

ويمكن الان التحدث عن مرحلتين رئيسيتين ذات أدلة مادية بينة، هذه المراحل تتسق مع الأحداث التاريخية التي بدأت في العصور الوسيطة.

المرحلة الأولى: (٦٤٠م-١٣١٧م) (٢٠-٦٩٧هـ):

تغطي هذه المرحلة فترة مملكة المقرة والتي من أول أدلتها المادية اتفاقية البقط الموقعة بين والي الخليفة عثمان بن عفان، عبد الله بن أبي السرح وبين ملك النوبة قليدروس، وبالرغم من الجدل السائد بين المؤرخين والعلماء حول طبيعة هذه الاتفاقية ومع من وقعت، هل هو ملك المقرة فقط أم المملكتين؟ خاصة أنها تتحدث عن ملك النوبة، إلا أنها حقيقة ماثلة تم العثور عليها في قصر ابريم والتي تعد أول سابقة في التاريخ المبكر للاسلام، فالنوبيين لم يعتبروا ضمن دار الاسلام أو دار الحرب (Adams: 1977: 452)، وعلى الرغم من غموض تفاصيل اتحاد المملكتين وتاريخه الا أن السيرة الذاتية للقديس اسحق قديس الاسكندرية ٦٩٠م تشير الي وجود ملكين مختلفين لكل من نوباتيا والمقرة يشوب بينهما نوع من العداء، الشئ الذي دفع مونيرت دي فيلارد الاشارة الي أن التوحيد قد تم في عهد الملك مرقوريوس في وقت مبكر من القرن الثامن الميلادي(Devillard: 1938: 103).

أما دوافع هذا الاتحاد ومهما تبدو مرتبطة بالتحولات السياسية والفتح العربي للامبراطورية البيزنطية والتمركز الكبير في ممتلكاتها الافريقية بخاصة مصر التي تم فتحها بواسطة المسلمين عام ٦٤٠م فكان لهذا الفتح أثره الكبير على التحولات السياسية في الممالك المسيحية. وقد تلخصت بنودها في الاتي:

١. أن يدفع النوبيون لبيت مال المسلمين ثلاثمائة وستين عبداً (٣٦٠) من الرقيق من خيرة رجالهم ونسائهم سنوياً.
٢. أن يدخل رعايا كل طرف بلد الطرف الآخر دون الإقامة فيها.
٣. على النوبة حفظ كل مسلم يدخل بلادهم لأي غرض حتى يغادروها.
٤. أن يرد النوبيون على المسلمين كل من يهرب إليهم من عبيدهم.

٥. على النوبة الحفاظ على المسجد الذي بناه المسلمون بفناء مدينة (دنقلا) وإكرامه ونظافته وإسراجه.

٦. الطرف الإسلامي غير ملزم بالدفاع عن النوبة إذا هاجمها عدو خارجي من أي جهة كان.

٧. إذا نقض النوبة أي من الشروط المسبقة فالمسلمون في حلٍ من الالتزام بالمعاهدة، وبنودها وليس للنوبة عهد بعدها ولا أمان.

وقد أحدثت تلك الفترة كثير من المؤثرات الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية على أوطان النوبة مما كان له أكبر الأثر في تحول مستقبل بلادهم والمناطق المجاورة لها.

ويرى بعض المؤرخين أن هذا الصلح جعل النوبيين والمسلمين على قدم المساواة فلا غالب هناك ولا مغلوب بدليل ما يدفعه المسلمون من أشياء مساوية تقريباً لما يدفعه النوبيون وقد تزيد وأنها مصلحة مشتركة، وهي أشبه بمعاهدة تجارية. وتعد هذه الاتفاقية أول سابقة للتاريخ المبكر للإسلام، فالنوبيون لم يعتبروا ضمن دار الإسلام ولا دار الحرب (Adams: Op.cit: 452). كما علق البلاذري (ليس بيننا وبين الأساود عهد ولا ميثاق، انما هي هدنة بيننا وبينهم)، ويمكن تفسير ذلك بأن معاهدة البقط هذه كانت معاهدة حسن جوار للاطمئنان على سلامة المسلمين على حدودهم الجنوبية، بالاضافة لفتح بلادهم للتجارة وحفظ مصالح المسلمين ونشر الثقافة الاسلامية في بلاد النوبة سلميا ومن غير حرب وجهاد (مسعد٢: المصدر المذكور: ١١٩). ثم وأن المعاهدة ضمنت للمسلمين فتح النوبة للتجارة والسماح لتجار المسلمين بزيارة بلادها على ألا يقيموا فيها، بيد أن ولاة المسلمين لابد توقعوا أثر الدور الذي يقوم به تجار المسلمين – وهم عنصر نشيط - في نشر الدعوة الإسلامية التي لا تفرض بحد السيف، بل بالحجة والبرهان. ويرى علي عثمان بأن العلاقات السياسية بين المسلمين في مصر والمسيحيين في بلاد النوبة كانت من الدوافع الرئيسية من وجهة نظر حكام مصر – حيث المحافظة على تدفق البضائع النوبية وأهمها الرقيق، وتأمين حدود مصر الجنوبية - ولتحقيق هذه الدوافع سارع المسلمون لعقد هذه الاتفاقية (البقط) (علي عثمان: 1980: ٤٤). وأشار علي عثمان بان المنطق من وراء هذه الاتفاقية كان واضح جدا، فالمسلمون لم يهتموا بالنوبة الا كمصدر للقوة البشرية من ناحية رسمية (Osman: 1978: 11-26). كما ويري البعض أن الاتفاقية لم تعقد في دنقلا العجوز (عاصمة المملكة) انما دنقلا التي وردت في الاتفاقية مصطلح قصد به جميع ارض النوبة، حيث لا يوجد ذكر لأي مدينة في كل بنود هذه الاتفاقية (الياس١: ١٩٩١: ١١٩). لكن أكدت الدراسات الأثرية

المستمرة في منطقة دنقلا العجوز أن الاتفاق هذا تم في دنقلا وذلك بعد اكتشاف الأسوار الدفاعية التي كانت تحيط بالمدينة ابان قذفها بالمنجنيق، وبالتالي فان مصطلح دنقلا الوارد في بعض نصوص هذه الاتفاقية لم يقصد به بلاد النوبة ككل كما ذكر البعض، وانما تعني دنقلا العجوز حاضرة مملكة المقرة والتي ظلت مقرا لحاكم المملكة المتحدة في تدهورها (عبدالرحمن: ٢٠٠٩: ٣٦).

ومن الواضح أن الإسلام دخل إلى أرض النوبة باتفاقية (البقط) حيث وبعد الانتهاء من توقيع الاتفاقية ورجوع الجيش الإسلامي إلى مصر تخلف الكثير منه، واستقر بهم المقام في أرض النوبة – الرعي والكلأ - وهم قبائل عربية، وبدأوا في نشر الإسلام وتعاليمه في المنطقة. ولذا نجد أن الثقافة الإسلامية العربية بدأت تنساب إلى بلاد النوبة منذ منتصف القرن السابع الميلادي، إلا أن الآثار الواضحة لهذا الانسياب الحضاري بدأت تظهر في نهايات العصر المسيحي. أكدت الاتفاقية على وجود مسجد في بلاد النوبة وعلى النوبيين إكرامه وكنسه وإسراجه، فمن ناحية يدل على مبلغ حرص المسلمين على نشر ديانتهم، ومن ناحية أخرى يؤكد أن الإسلام كان موجودا قبل عقد اتفاقية البقط، أي قبل عام ٦٥٢م. وليس من المعروف تماماً تاريخ بناء هذا المسجد! والراجح أن بناءه سابق لحملة عبد الله بن سعد، بناه التجار المسلمين الذين لم تنقطع صلتهم بوادي النيل. ولوصح هذا فإن الإسلام يكون قد أخذ في الامتداد نحو بلاد النوبة في عصر مبكر (مسعد٢: المصدر المذكور: ١١٤)، ويتوقف هذا الدليل على العثور على مكان المسجد. وفي أحد نصوص الاتفاقية ذكر بأن للمسلمين الحق في عبور بلاد النوبة مسافرين غير مقيمين (خاصة في منطقة المريس – نوباتيا) وكذلك بالنسبة للنوبيين، إلا أن المسلمين لم يلتزموا بهذا البند، حيث تدفقت موجات هجرة عربية وإسلامية كبيرة إلى بلاد النوبة وطبعت المجتمع النوبي في العهد المسيحي بطابع جديد وهو الثقافة العربية الإسلامية.

ومن خلال الدراسة الاثارية التي تمت في منطقة "الصحابة" جنوب دنقلا ضمن مشروع المسح الاثاري لاقليم غرب دنقلا والتابع لقسم الاثار جامعة بالخرطوم بقيادة بروفيسور انتصار صغيرون اتضح أن تلك المنطقة من المناطق التي تعود لفترتي المسيحية والاسلامية المبكرة، حيث يحتوي الموقع على عدد من المقابر لقادة عسكريين منذ اتفاقية البقط والتي وقعت ما بين العرب المسلمين والنوبة، بالاضافة الي وجود عدد من الخلاوي القديمة والمنتشرة في المنطقة (الصحابة – ودنميري – لبب) ومجموعة من القباب الاسلامية من طراز الثلاثة درجات، ونمط بناء القباب

هذا قديم جدا. وأشار علي عثمان بأن اسم "الصحابة" هذا جاء من صحابة رسول الله (ص) الذين جاءوا مع العرب الفاتحين لدنقلا والتي وقعت معهم اتفاقية البقط حيث تخلف عددا منهم واستقروا هناك وماتوا ودفنوا فيها (صغيرون: تقرير المشروع: ٢٠١٤).

صورة رقم (١)

قباب ودنميري. تصوير الباحث

وقد أشار علي عثمان بأن معظم الحروبات التي تمت ما بين العرب المسلمين والنوبة تمت في هذه المناطق (الصحابة – ودنميري –لبب) والتي كانت مقرا رئيسيا للجيوش الاسلامية. ومن المعلوم أن تحرك الجيوش هذه كان برفقتها دعاة لتعليم القران وعلومه ونشر أصول الدين بين الجيوش وكذلك نشر الدعوة الاسلامية في تلك الجهات، وكانت منطقة الصحابة من المناطق التي تمركزت بها الخلاوي لأداء تلك المهمة (نشر وتعليم علوم الدين) (علي عثمان: مقابلة شخصية: ٢٠١٦).

وبعد دراسة منطقة الصحابة اثاريا اتضح أن بها خلاوي قديمة بنيت من الحجر الرملي وبها المحراب في الاتجاه الشرقي (القبلة)، وحول هذه القباب وجدت مقابر اسلامية كبيرة وعدد من القباب وشواهد للقبور (صغيرون: تقرير المشروع: ٢٠١٤).

صورة رقم (٢-٣)

شواهد قبور مبكرة وقباب ود نميري

الشئ اللافت للانتباه أن معاهدة البقط لم تخص البجا، حيث لم ير عنهم نص فيها، غير أنهم ما لبثوا أن غاروا على صعيد مصر حوالي ٧٢٥م، فصالحهم المسلمون وكتبوا لهم عقدا.. ولم يمض وقت طويل على هذه المعاهدة حتى عاد البجا وشنوا غارات من جديد على أسوان، وجردت عليهم حملة بقيادة عبدالله بن الجهم عام ٨٤١م فكانت له معهم حروبات، انتهت باتفاقية وعقد جديد بينه وبين زعيمهم كنون بن عبدالعزيز. من أهم شروطها:

١. أن تكون بلاد البجا من حد أسوان الي حد ما بين دهلك (مصوع) وباضع (جزيرة الملح) ملكا للخليفة، وأن كنون بن عبدالعزيز وأهل بلده عبيد لأمير المؤمنين، على أن يبقي كنون ملكا عليهم.

٢. أن يؤدي ملك البجا الخراج كل عام مائة من الإبل أو ثلاثمائة دينار لبيت المال.

٣. أن يخدم البجا الاسلام ولا يذكروه بسؤ، والا يقتلوا مسلما أو ذميا حرا أو عبدا في أرض البجا أو في مصر او النوبة، والا يعيينوا أحدا على المسلمين.

٤. إذا دخل أحد من المسلمين في بلادهم للتجارة أو الاقامة أو مجتازا للحج فهو امن لاخر حدهم.

٥. إذا دخل البجا صعيد مصر مجتازين أو تجار، لا يظهرون سلاحا ولا يدخلون المدائن والقري.

٦. الا يهدموا شيئا من المساجد التي ابتناها المسلمون بصيحة وهجر.

٧. وعلى كنون أن يدخل عمال أمير المؤمنين بلاد البجا لقبض صدقات من أسلم من البجا.

ونجد أن هنالك عدة نقاط لاختلاف هذا العقد مع البقط، منها أن البجا حتى مصوع أصبحت جزءا من الخلافة الاسلامية، وينطبق عليها شروط البلاد التي تفتح عنوة بدليل الخراج وفرضه عليهم. كما نلاحظ شرط عدم التعرض للمسلمين بأذي سواء في بلاد البجا أو النوبة. كما أن شرط حفظ المساجد القائمة فعلا في بلاد البجا، بالاضافة الي جمع الصدقات ممن أسلم من البجا دليل على دخول الاسلام في تلك الجهات واقامة بعض المسلمين بها. ودخول الاسلام وشق طريقه الي مناطق البجا فمن الأرجح أن هنالك جماعات سلكت طريقها الي البجا مثل جهينة وبلي ونزحت الي هذه الجهات للتجارة عقب فتح مصر ٦٤١م، وليس من المستبعد أن ينشر أفرادها الاسلام بصفة جزئية في منتصف القرن السابع الميلادي. وفي رواية لابن حوقل أن أفرادا من البجا (أسلموا اسلام تكليف وضبطوا بعض شعائر الاسلام وظاهروا بالشهادتين ودانوا ببعض الفرائض) ولهذا سامحهم عبدالله بن سعد ولم يحاربهم (مسعد٢: المصدر المذكور: ١٢٠). وفي نهاية القرن السابع الميلادي عبرت جماعة من عرب هوازن البحر الاحمر واستقرت في أرض البجا، وعرفوا بالحلانقة وانتقلت الي منطقة التاكا، ويري بول (Paul) أن الحلانقة هؤلاء كانوا أول من استقر من العرب المسلمين في البجا. ويقال أن جماعات من الأمويين هربوا ولجأوا الي بلاد البجا في منتصف القرن الثامن الميلادي هربا من مذابح العباسيين واستقر عددا منهم في ميناء باضع (مسعد٢: المصدر السابق: ١٢٠).

ومما لا شك فيه أن هذه الجماعات الإسلامية المختلفة تركت لوناً من التأثير فيمن اختلطت بهم، مثلاً منطقة الصحراء الشرقية خاصة البجة، حيث تزاوجوا مع البجة وبدأت عملية الأسلمة، حيث أثبتت الأبحاث الآثارية وجود جاليات إسلامية في منطقة خور (نُبت)

الواقعة على مسافة ٧٠ ميلاً غرب سواكن، إذ عثر على شواهد قبور عربية يرجع تاريخها إلى منتصف القرن الثامن الميلادي (٧٦٠م)، ودل البحث الأثري كذلك على وجود مسجد في سنكات يرجع تاريخ بنائه إلى عام ٨٣١م (مسعد١: المصدر السابق: ١١٨). كل هذا يمثل الدليل المادي الثاني للوجود الاسلامي في هذه الفترة.

صورة رقم (٤-٥)

شاهد قبر – وخور نبتخلوة - سواكن

هذه الاتفاقية (البقط) حفظت العلاقات بين مصر وبلاد النوبة لستة قرون وقد تخللتها العديد من فترات الصدام، وتوقف الدفع وغيرها إلا أنها بصورة عامة مكنت بلاد النوبة من تطوير ثقافتها المادية، كما أدت إلى إنعاش المنطقة من الناحية التجارية وازدهار طرق القوافل وظهور وانتعاش المدن (القمر: ١٩٩٧: ١٥٤).

ولكن تشير المصادر التاريخية الي أبناء سكر والذين هاجروا إلى منطقة سدلة في الشلال الثالث وبدأوا في محاربة الإدارة النوبية المسيحية وانتصروا عليها وكونوا مملكة مسلمة في ٨٤٠م (فدوى عبد الرحمن: ٢٠٠٤: ٤٩٦)، حيث حضور عدد من الدعاة للسودان، كما وتخلف عدد من الجيش الغازي من أهل الحديث والقران. وتشير بعض وثائق النسبة الي أن أبي بن كعب الأنصاري هو من أوائل الصحابة الذين استقروا في المنطقة وقد أسس أحفاده تلك الامارة الاسلامية والتي نشأت تحت ظل المملكة المسيحية والتي ذكرت سابقا (امارة السكراب) (أنظر الخريطة أدناه). وقد دعم هذا الاتجاه وجود المدافن القديمة في منطقة دلقو (شيخ مرزوق)، وما يعرف بمقابر الصحابة بالاضافة الي أسماء بعض المقامات مثل مقام سيدنا أبوبكر الصديق في

قرية حسين اركي وما يعرف بقدم النبي (ص) (النبيين اوي-بالنوبية) في أكثر من موقع بمنطقة المحس (الشلال الثالث)، كذلك الي قبة أبي فاطمة شمال كرمة، حيث نجد أن الأهالي في أبوفاطمة وتمبس وكبدي حتى وقت قريب كانوا يزورون هذه القبة باعتبار أنها قبة شيخ ويذبحون له النذور. كما نجد قباب جزيرة سمت وجزيرة ناب وقبة شيخ موسي بمنطقة فريق بالمحس، حيث عاش هؤلاء في كنف الدولة المسيحية مما يدل على وجود حركة صوفية كبري بالمنطقة. ولعل عدم معرفة الاهالي بالمنطقة بأسماء الشيوخ في الجزر المذكورة أعلاه يشير الي قدمها، الا أن الأمر ما زال ينتظر المزيد من البحث والتقصي (سعيد1: ٣١٨: ٢٠١٣).

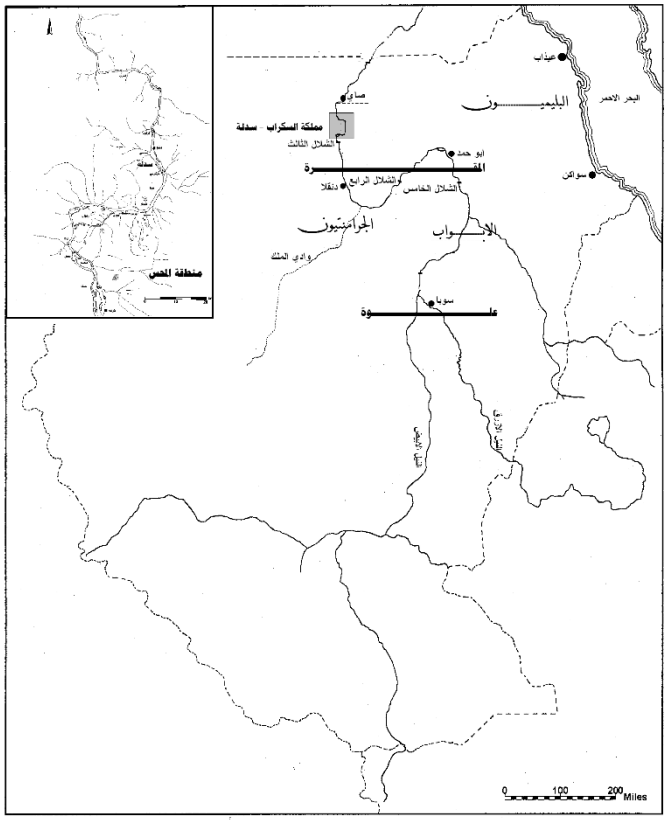

خارطة رقم (٣)

الممالك الاسلامية في ظل الممالك المسيحية (السكراب) المصدر: سعيد: ٢٠٠٩

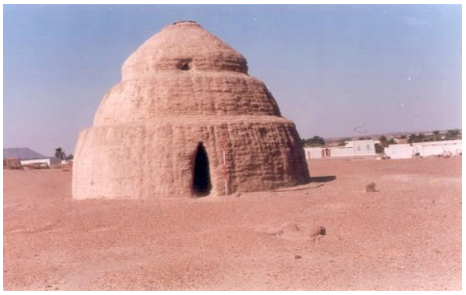

صورة رقم (٦-٧)

قبة جزيرة سمت (المحس) ، النبيين اوي (أقدام النبي (ص))

وظهر فيما بعد العنصر القادم من الشمال وكان هو العامل الحاسم في نهاية المطاف في انهيار النوبة. حيث كان هناك ضغط الحكام المصريين على السلطة النوبية الآفلة من ناحية والتسلل المتزايد للعرب البدو وتأثيرهم السلبي على البنية الاجتماعية للنوبة من ناحية أخري (كروباشيك: ١٩٨١: ٤٠٨). حيث كان للضغط السياسي والاقتصادي للعرب في مصر أسوأ الأثر في نفوسهم، وبدأت جماعات منهم بالنزوح والهجرة، فانسابوا جنوبا وغربا بعيدا عن ضغط المماليك في مصر. وبدأت مرحلة جديدة من مراحل انتشار الاسلام والثقافة الاسلامية في بلاد النوبا والبجا. ومن ثم وبعد تاسيس واقامة امارة العمري الاسلامية سنة ٨٦٨م والتي تمتد من عيذاب شرقا الي أسوان شمالا، والتي كانت من أهم أهدافها بعد الجيوش وارسالها لتاديب البجا، هي الاهتداء الي مواقع أخري للذهب والبحث عن مواقع أخري تتسع للعرب (مسعد٢: المصدر المذكور: ١٢٥). ويشير عدد من المؤرخين الي أن فكرة العمري هذا باقامة امارة اسلامية في تلك المنطقة شئ مقبول لديهم، ذلك لتمكنه من الاستقرار في مناطق تعدين الذهب بالقرب من النيل بالاضافة لحركة التجارة وحريتها بتشجيع من مملكة علوة للتجار المسلمين، الي جانب السبب الأكبر والمباشر ربما من اقامة هذه المملكة والي الجنوب من حدود مملكة مقرة ذات الصلات العدائية في أغلب الأحوال يعد نصرا للاسلام في مصر (الياس٢: ٦٦: ٢٠١٢). وقد أشار اليعقوبي (٨٧١م) بأن الجماعات الاسلامية كانت كثيرة بأرض البجا ودورهم في نشر الثقافة الاسلامية، كما زار المسعودي (٩٤٠م) مصر بعد حملة العمري بعشر سنوات وتحدث عن الأثر الواضح للجماعات العربية الاسلامية في نشر الثقافة الاسلامية في اقليم البجا وبلاد النوبة كذلك (مسعد٢: المصدر المذكور: ١٢٦)، كما تحدث عن وصول الاسلام جنوبا حتى جزيرة سواكن، حيث

تسكن جماعة من البجا اعتنقت الاسلام وتعرف باسم "الخاسة". وهناك من المصادر ما يشير الي وجود مملكة اسلامية أخري في منطقة دلتا القاش تعرف ب "مملكة تفلين" الاسلامية في داخل حدود مملكة علوة الشمالية الشرقية (الياس٢: المصدر المذكور: ١٣٦). الا أن الأمر يحتاج الي كثير من التقصي والبحث والدراسة.

ويشير ابن سليم الاسواني (٩٧٥م) عن النوبة أن المنطقة من أسوان حتى الشلال الثاني هي الجهة التي يتصرف فيها المسلمون ولهم فيها أملاك. وتؤيد الأبحاث الأثرية هذا القول حيث وجود جاليات عربية اسلامية مستقرة في المنطقة، ذلك أنه عثر في بعض الأماكن في مريس على كثير من الكتابات العربية يرجع تاريخ أقدمها الي القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) وتدل كثرة شواهد القبور المكتوبة بالخط العربي وتحمل أسماء عربية في كل من تافه (٢٨٠هـ-٨٣٢م) وفي كلابشة(٣١٧هـ-٩٢٩م) على حياة هادئة مطمئنة لجاليات عربية اسلامية في بلاد المريس. ويري دي فيار أن تنقل الجماعات العربية المختلفة بين منطقة مريس وأرض البجا كان أمرا مألوفا بدليل وجود كتابات عربية بالخط الكوفي على جدران قلعتين من دير يهيب بالقرب من منجم للذهب في هذه المنطقة. ويرجع تأريخ هذه الكتابات الي القرن العاشر الميلادي (٩٨٢-٩٨٣م)، فضلا عن كتابات أخري في نيزاري جنوب دير يهيب يرجع تاريخها لنفس هذا العهد. وشهدت هذه الفترة سفارة ابن سليم الأسواني هذا، والذي أرسله القائد الفاطمي جوهر الصقلي الي بلاد النوبة ليدعو الملك قيرقي (جورج الثاني) الي الدخول في الاسلام (الشيخ: ٣١٨: ٢٠٠٢). وتعد سفارة ابن سليم أول دعوة رسمية لأسلمة ملك النوبة المسيحي في الربع الأخير من القرن العاشر الميلادي، حيث ذكر بوجود مسجد صلي فيه مع ستين مسلما صلاة عيد الاضحية (Soghayroun1: 15 :2001)، وكان ابن سليم شيعي جاء في أعقاب انتصار الفاطميين على مصر مرسلا من قائد الفاطميين جوهر الصقلي، ومع أن الأخبار لم ترد الينا عن غرض تلك السفارة الا أنه من البديهي أنها كانت بغرض التعرف على البلاد وقرار ضمها وعدم ضمها للدولة الفاطمية. تاريخيا لم تصبح بلاد النوبة جزءا من الدولة الفاطمية ولكنها تمتعت بعلاقات حسنة ومستقرة مع مصر الفاطمية طيلة فترتها.

على كل زاد رسوخ قدم الجماعات العربية ببلاد النوبة السفلي فيذكر ابن سليم: (أن المسلمون يتمتعون بكامل استقلالهم في هذه المنطقة والتي استقروا فيها حيث توجد أملاكهم، فضلا على أن كثير من النوبيين أنفسهم اعتنقوا الاسلام رغم جهلهم باللغة العربية، والراجح أن

العرب تعلموا لغة النوبيين بعد أن اختلطوا بهم واستطاعوا بذلك نشر ثقافتهم الاسلامية في النوبة. وتدل الأبحاث الاثارية التي قام بها دي فيار في وجهة مريس على تأثير هذه الجماعات العربية في النوبيين، اذ عثر في مقابر نوبية على كتابات باللغة القبطية تحمل تأريخا مزدوجا من التقويمين القبطي والهجري، وترجع معظم هذه الكتابات الي القرن العاشر الميلادي (٩٠٦-٩٠٧م) ثم تظهر بعد هذا كتابات من هذا النوع أيضا لا تحمل سوي التاريخ الهجري، وهي جميعا ترجع الي نفس هذا القرن. كما ويتضح كذلك مما جاء في ابن سليم عن مملكة علوة أن المسلمين يختلفون اليها للتجارة، ولا بد أن عددهم كان كبيرا بدليل أنه أصبح لهم رباط خاص بهم يأوون اليه (مسعد٢: المصدر المذكور: ١٢٩-١٣٠).

وفي مناطق الشايقية تشير كثير من الروايات الي ظهور مملكة الدفار والتي يزعم أهلها أنهم فرع من الجعليين يسمي بالبديرية ولهم العديد من الملوك من ذرية أولاد جابر، أشهرهم عبدالرحمن الذي ازدهرت في عهده عدة مساجد في بلاد الشايقية وكورتي والدفار ولهم نحاس، كما أن مملكة دفار تعد واحدة من أقدم الممالك الاسلامية التي قامت في السودان منذ بداية القرن الثالث عشر الميلادي، وقد كانت تشمل مملكة الخناق ومملكة مقاصر والتي خضعت لملوك الدفار لصغرها (محي الدين: ١٩٧٢). الا أن الأمر يحتاج لمزيد من الدراسات والبحوث.

وغرباً اتجهت مجموعات بدوية رعوية وانتشرت عبر السافنا حوالي (١٠٠٠م) وبدأ تكوين الدويلات في دارفور في القرن الثالث عشر الميلادي حيث نجد أدلة المساجد القديمة في غرب السودان من مواقع عين فرح وأوري والتي أرخت إلى القرن الثالث عشر الميلادي. وترجح الروايات الوطنية بأن أقدم سكان دارفور كانوا هم الداجو، وهم أول من أسس دولة دارفور، ويقال أنهم من القبائل الحامية والتي استوطنت دارفور، أتوا ضمن القبائل الوافدة من الجزيرة العربية وهنالك بعض من الروايات تقول بأنهم أتوا من شمال افريقيا وبالتحديد من تونس (جبريل: ٢٠١٣: ١٣). وفي أوائل القرن الثالث عشر الميلادي كانوا يحكمون دارفور، الي أن فقدوا السيطرة على الطرق التجارية للتنجر، والذين بسطوا سيطرتهم على المنطقة الوسطي في نحو القرن الخامس عشر الميلادي. وما زال الداجو يسيطرون على المنطقة الواقعة شرق وجنوب شرق جبل مرة على الرغم من تفرقهم وانحسارهم. وتم العثور على بقايا اثار ترجع لهم، كما لم يكن في يوم من الأيام عاصمة واحدة ثابتة بل كانوا يتنقلون من موقع لاخر(حسن٣: ٢٠٠٣: ٩٢). ومن أهم الدلائل الأثرية والتي لعبت التجارة دوراً هاماً فيها هي الأدوات المستوردة، خاصة الفخار الإسلامي

والذي وجد في مواقع مختلفة مثل كلوبنارتي (Adams: 1998)، قصر إبريم (Adams: 1994)، دنقلا العجوز وسوبا (Welsby: 1993)، سنار (Soghayroun1: 1982)، باضع وعيذاب (Kawatoko: 1993)، ودرهيب (Castiglioni: 1994).

المرحلة الثانية ١٣١٧م-١٥٠٠م (٦٩٧-٩٣٧هـ):

تزامنت هذه المرحلة تاريخياً مع انتهاء مملكة المقرة المسيحية (نهاية المسيحية كدين رسمي) وقبل قيام دولة الفونج الإسلامية (قبيل القرن الـ١٦). وهي من الفترات التي لم تجد الاهتمام الكافي من قبل دارسي الفترة المسيحية الذين يتوقفون عند إسلام دنقلا، ودارسي فترة الفونج الذين يركزون على بداية ظهور مملكة الفونج في أوائل القرن السادس عشر الميلادي. واللافت للانتباه هنا أن الدولة المملوكية في مصر سعت إلى التدخل المباشر في الشئون الداخلية لمملكة المقرة، حيث لم تكتف باستلام البقط المفروض على النوبيين فحسب، بل عملت على عزل وتعيين الملوك النوبيين وفقاً لمصالحهم الخاصة وذلك لاعتبارات كثيرة أهمها تأمين حدود مصر الجنوبية.

وخير مثال لهذا التدخل بعد هزيمة الملك داؤود الذي تم استبداله بملك آخر يدعى شكنده، وتأكيداً لولائه للمماليك فقد أقسم بقسم مسيحي قبل فيه عدداً من الالتزامات أهمها قبول تبعيته للسلطان المملوكي (كروباتشيك: المصدر المذكور: ٤١٣). بعد ذلك أصبحت المقرة دولة تابعة لدولة أخرى قوية وهي دولة المماليك ولم تستطيع أن تعيد نظامها الداخلي. وبرغم ذلك لم يستسلم النوبيون لهذه السيطرة فكثيراً ما كانوا ينزعون إلى الاستقلال عن سيطرة المماليك فأرسلت إليهم حملات أخرى لإخضاعهم الشيء الذي أدى لهروب كثير من ملوك النوبة إلى مملكة الأبواب المجاورة خوفاً من بطش المماليك حيث نجد الملك كرنبس(١٣١٢-١٣١٥م) والذي حاول التخلص من التبعية لسلطة المماليك فتم إرسال حملة إلى بلاد النوبة ١٣١٥م إلا أنها لم تستطيع النيل من كرنبس، ولا تشير المراجع – كما هي العادة - إلى عودة هذه الحملة إلى مصر، ولعلها بقيت في دنقلا إلى أجل غير مسمى لتقوم على تنفيذ أوامر السلطان فيما يتعلق بتنصيب ملك جديد لبلاد النوبة (مسعد١: المصدر المذكور: ١٦٥).

وهنا تبدو ظاهرة جديدة في الواقع هي نقطة التحول في تاريخ بلاد النوبة، ذلك أن من الأسرى النوبيين الذين أتت بهم الحملات الحربية السابقة على بلاد النوبة عدد كبير من الأمراء وأفراد البيت المالك وبعض المطالبين بالعرش النوبي، حيث اتجهت سياسة الدولة المملوكية إلى

استمالتهم لتعيينهم ملوكاً عليها ولاسيما بعض الذين أسلموا منهم، حيث نجد الملك النوبي سيف الدين عبد الله برشمبو، والذي اعتلى العرش في دنقلا محددًا لبداية الاعتناق الرسمي للإسلام في دنقلا. وقام برشمبو بتحويل جزء من القصر لمسجد ١٣١٧م حيث وجد نقش لبرشمبو كتب عليه ما معناه (تحويل هذا المكان إلى مسجد للصلاة) (مسعد١: المصدر السابق: ١٦٧).

صورة رقم (٨)

مسجد دنقلا العجوز (القصر الملكي)

ومن بين المشاكل الداخلية ادعاء كنز الدولة أمير بني كنز حقه في الملك باعتبار انتقال الملك إليه بعد خاله كرنبس. إضافة إلى أنه مسلم، ولكن لم يجد التأييد من ملوك دولة المماليك، بل وجد التأييد من قبل النوبيين والعرب. وقام بني كنز بمحاربة وقتل الملك برشمبو. وربما يرجع السبب في عدم تأييد المماليك لكنز الدولة هو خشية المماليك من قيام تحالف أكثر اتساعاً حول حاكم من أصل عربي ونوبي في آنٍ واحد الشيء الذي يؤدي إلى زوال نفوذ المماليك. وعموماً أوردت المصادر التاريخية أن الصراع الداخلي على السلطة قد ازداد بصورة كبيرة. واستمر التدخل العربي بصورة واسعة ولعب بنو كنز دوراً كبيراً في ذلك واستطاعوا السيطرة على دنقلا حيث التجأ الملك إلى (قصر الضو) في المريس وتركت دنقلا خراباً، وأضحى الجزء الأكبر من المملكة خاضعاً للفوضى والتدهور (مسعد١: المصدر السابق: ١٧٠).

إن بلاد النوبة منذ الربع الأول من القرن الرابع عشر الميلادي لم تعد وطن النوبيين فحسب، بل شاركهم فيها قبائل عربية كثيرة من غير بني كنز، ومن هذه القبائل بني بكر، بني عمر، بني شيبان وبني هلال وغيرهم. وربما كان الدافع لهم على البقاء في بلاد النوبة شدة الضغط المملوكي عليهم في مصر. كما نجد عرب جهينة هاجروا إلى بلاد النوبة بعد أن قطعت الجزية عن النوبيين لإسلامهم. وقد ذكر (كروفورد) أنه قد ينسب إلى عرب جهينة ضياع كثير من المظاهر التي امتازت بها الملكية النوبية، منها أن اللغة النوبية لم تعد لغة الكتابة، بل ظلت تمثل لغة التفاهم بين النوبيين، وينسب إلى عرب جهينة كذلك تخريب كثير من الكنائس النوبية (Crawford: 1951: 27). وقد ورد في المصادر تدفقهم الي الحبشة والي غرب السودان بعد قرن من استغلالهم في النوبة. وكما هو معلوم بأنه ليس لدينا من الدلائل المادية ما يشير إلى انتشار الإسلام كان على حساب المسيحية أو على حساب المعتقدات الدينية المحلية الأصيلة، حيث الواضح أن النوبة تخلوا عن مسيحيتهم من غير أن يؤثر ذلك على معتقداتهم الدينية الأصيلة ودخلوا في الإسلام وهم محتفظون بنفس المعتقدات. وهنالك ملاحظة حيث مجيء المسيحية بلسان غريب على أهل السودان جاء الإسلام كذلك بلسان غريب.

ولكن هنالك فرق واضح يجب الإشارة إليه بين انتشار المسيحية وانتشار الإسلام كأديان سماوية جديدة على السودان، وهو أن المسيحية جاءت دون أن يكون معها أو تجلب عنصراً بشرياً يطلب الاستيطان في بلاد السودان، عكس الإسلام الذي وفدت معه مجموعات عربية استوطنت هذه النواحي وجعلت من نفسها الحامي الأول للدين الذي أتوا به. على هذا اختلف رد الفعل الحضاري والثقافي لهذا الوافد الجديد.

غير أن غلبة الثقافة الإسلامية العربية على الثقافة النوبية الأفريقية لم تكن سهلة، وذلك أن الإسلام لم يصبح دين الدولة الرسمي، كما وأن اللغة العربية لم تصبح لغة الدولة الرسمية حتى بداية القرن السادس عشر الميلادي مع قيام دولة الفونج. هذا أدى إلى تهيئة الفرصة للثقافة النوبية الأفريقية أن تسترد الكثير من حيويتها وقدرتها بعد حروبات المماليك الطويلة في القرن الثالث عشر الميلادي. وأصبح المجال مجال صراع حضاري ثقافي بين الحضارة النوبية الأفريقية والحضارة الإسلامية العربية. وكان السلاح الأول والأساسي للعرب المسلمين هو فن الكتابة والقراءة والذي كان السكان المحليون قد فقدوه في عصر الاضمحلال الحضاري في نهايات العصر المسيحي. أما سلاح السكان المحليين الأول والأساسي في هذا الصراع هو الأرض التي يمتلكها

السكان. فقد استقطع الحكام المحليون مساحات من الأرض لشيوخ الطرق الصوفية ومعلمو الدين الإسلامي مقابل الخدمات التي يقوم بها في الخلاوي والمساجد إلى جانب عمل الشيخ كاتباً أو قاضياً لدى الملك أو الحاكم. لكننا نجد أن سلاح الأرض قد فقد أهميته عندما انتشر الإسلام والعرب في بلاد السودان الواسعة وخاصة في أرض البطانة وبلاد كردفان ودارفور (علي عثمان: المصدر المذكور: ٦٨-٦٩).

وكما ذكرنا من قبل وبعد أن انكسر الحاجز السياسي، تدفق العرب بكميات كبيرة من الصحراء الشرقية ووادي النيل وتوغلوا جنوباً للبطانة والجزيرة مثل جهينة والكواهلة إلى جانب توغلهم في كردفان ودارفور وبدأ وصول العلماء من الجزيرة العربية في مهام نشر وإصلاح الدين الإسلامي حيث أصبحت الحاجة ماسة إلى ذلك ومن هؤلاء **غلام الله بن عائد** الذي قدم من اليمن من منطقة يقال لها الحليلة في أواسط القرن الرابع عشر الميلادي، والذي كان أحد الذين ساهموا مساهمة فاعلة في نشر وتعليم الناس علوم الدين، بعد أن قرر بالبقاء في مدينة دنقلا مساهمة منه في نشر تعاليم الاسلام، اذ هاله ما رأي من جهل لانعدام العلماء والقراء، حيث قام بتعمير المساجد وقراءة القرآن واشتغل بتعليم الناس علوم الدين. وقد تخرج على يده الكثيرون وساروا على نهجه في نشر وقراءة علوم الدين بين الناس في جميع أنحاء البلاد.

إلى جانب الشيخ غلام الله كان هنالك العديد من العلماء والمشايخ الذين أثروا البلاد بعلمهم ومعرفتهم الدينية الثرة وقاموا ببناء الخلاوي والمساجد، منهم على سبيل المثال الشيخ حمد أبو دنانة صهر الشيخ عبدالله بن محمد الجزولي الشاذلي، حيث استقر بالمحمية ولعله أول من نشر الطريقة الشاذلية في السودان. وبالرغم من مجهودات هؤلاء العلماء الا أننا نجد حالة من التيه والضلال ما زالت موجودة حتى نهاية مملكة علوة. وقد وصف يوحنا السوري تلك البلاد بان سكانها: (ليسوا بمسيحيين ولا يهود ولا مسلمين ولكنهم يؤملون أن يظلوا مسيحيين).

ومع ظهور المد العربي والثقافة العربية الإسلامية أصبح السكان في معظم شمال وشرق السودان ثنائي اللغة، حيث نجد النوبة والبجة يتحدثون لهجات محلية ويتخذون من العربية لغة العلم والدين، وقد انتشرت العربية من البحر الأحمر شرقاً إلى تشاد غرباً ومن أسوان شمالاً إلى شمال خط ١٠ شمال في الجنوب (حسن١: ١٩٧٣: ١٣٤).

وقد كشفت الدلائل الآثارية في الغرب عن وجود قصور ومساجد مملكة التنجور إحدى ممالك الغرب القوية والتي ساهمت في نشر الثقافة الإسلامية، كما وجدت الأدوات المستوردة وخاصة الفخار الإسلامي. وهنالك اختلاف للاراء حول أصل التنجر ومنشأ مملكتهم، حيث يزعم البعض انهم عباسيون من دنقلا، واخرون يزعمون انهم من قبيلة بني هلال إحدى القبائل العربية والتي نزحت من مصر للسودان ومنها الي سهول تلك المنطقة، ويرجح البعض بأن لهم صلة بالبديات (أحد فروع قبيلة التيبو). وفي فترة من فترات تلكم المنطقة الغامضة (لقلة المصادر) استطاع التنجر بسط سيطرتهم على دارفور وأجزاء من وداي. وفي أوج ازدهار وعظمة تلك المملكة في حوالي القرن الخامس عشر الميلادي أخذ الاسلام في الانتشار، ولكن ببطء شديد وعلي أيدي بعضا من العرب. وكما هو معلوم دخول الاسلام عن طريق الهجرات العربية ووفود موجات هجرة عربية الي سهول دارفور خاصة الأجزاء الجنوبية منها، من أشهرها قبيلة "البقارة" الذين ينتمون الي جهينة إحدى البطون العربية الكبيرة التي وفدت الي السودان، ونشأت بينهم وبين السكان المحليين صلات وعلاقات ومصاهرات حتى غلب السواد على بشرتهم (سحنتهم) من هؤلاء نجد المسيرية والرزيقات والهبانية وبني هلبة. وقد عاصروا دولة الداجو في جنوب جبل مرة، ثم بسطوا نفوذهم على دار وداي بتشاد. وقيل في هذا أن التوسع الذي أحرزوه في فترة من الفترات أدي الي اضعاف مملكتهم في دارفور (جبريل: المصدر المذكور: ١٣). على ذلك اغتنم الفور هذه الفرصة في أواخر القرن السادس عشر الميلادي استطاعوا انتزاع السلطة من الداجو والتنجر (حسن٣: المصدر المذكور: ٩٢). ويقال أن عهد التنجر كان اسلاميا، ومما يؤكد ذلك وجود بقايا جوامع بمدينة (أوري) و (عين فرح التي بها قصر السلطان شاو دور شيد ومسجده المبني من الطوب الأحمر) ومناطق أخري بشمال دارفور. أما مناطق كردفان والتي تقع بين مملكتي الفونج والفور، لا نكاد نعرف شيئا عن تاريخ تلك المنطقة قبل القرن السادس عشر الميلادي (اي قبل سيطرة دولة الفونج على زمام الأمور في البلاد)، لكن على إثر اندفاع الموجات العربية خاصة في الوسط مما أدي لسقوط مملكة المقرة وعلوة المسيحيتين، ساعد ذلك على استقرار تلك المجموعات في سهول الجزيرة وكردفان، وربما بعد ذلك انتشر الاسلام الي باقي المناطق الأخري المجاورة لهم مثل جبال النوبا.

على كل، ظهرت مملكة تقلي في تلك المنطقة في تاريخ يصعب تحديده، لكن تشير بعض الروايات بظهور هذه المملكة عقب مجئ أحد "الفقرا" ويدعي محمد الجعلي، قادما من الشمال من ديار الجعليين في مطلع القرن السادس عشر الميلادي، وربما يكون محمد هذا هو "الغريب

الحكيم". وحتى أواخر القرن الخامس عشر الميلادي لم يكن هنالك أي ذكر لتلك المملكة في المصادر، لكن زاع صيتها بعد ذلك (القرن السادس عشر الميلادي) (حسن٣: المصدر المذكور: ١١٢).

أما مملكة المسبعات فهي مثل سابقتها (تقلي) لم يكتب عنها الكثير، وكل ما ذكر عنها كان ضمن اشارات عرضية أو لتاثيرها بسبب أو باخر مع علاقاتها بدولة الفونج أو الفور، حيث كانت مساعي الدولتين السيطرة عليها.

كل الروايات ترجح بأن القبائل العربية قد وفدت الي تلك المناطق خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين واستقرت هناك، ومن أولي القبائل التي استقرت هي قبيلة الغديات (خليط من العرب والنوبا والفونج) وبسطوا نفوذهم على البديرية والجوامعة.

ومن خلال المسح الاثاري لمنطقة شمال كردفان التابع لقسم الاثار جامعة الخرطوم بقيادة هويدا محمد ادم وفي موسمه الاخير (٢٠١٤-٢٠١٥م) ومن خلال الروايات الشفاهية والبقايا الاثارية التي وجدت بها من مباني جنائزية (مقابر) وبقايا قصور بنيت من الطوب اللبن والطين تم الانتباه لوجود مملكة يكتنفها كثير من الغموض عرفت بمملكة "الغديات" (هويدا: تقرير المشروع: ٢٠١٥).

صورة رقم (٩-١٠)

مدافن مملكة الغديات وبقايا قصر لمملكة الغديات

لكن عموما تشكلت قبيلة الغديات في زمن غير محدد على وجه الدقة، ومن المرجح أن يكون هذا التشكيل بطيئا منذ دخول القبائل العربية الاسلامية الي السودان، ومن ثم تكونت بعدها مشيخة الغديات في كردفان في الفترة ما بين (٨٥٤/١٤٥٠هـ-١٢٣٧/١٨٢١هـ) تقريبا (جباد: ٢٠١٣: ٢). وتعد هذه الفترة من الفترات الغامضة والمجهولة للمنطقة.

ومن خلال الروايات التاريخية التي جمعت عن مملكة الغديات نجد أنها من أولي القبائل العربية التي استوطنت كردفان مكونة أول سلطة سياسية وادارية والتي تمثلت في مشيخة الغديات بالتحالف مع مشيخة العبدلاب، والتي يقول عنها محمد صالح محي الدين في كتابه مشيخة العبدلاب (بأنها أول حكومة عربية اسلامية خالصة لا مكان للجدل في عروبتها في السودان) ثم أن مشيخة الغديات شكلت مع حلفائها العبدلاب التحالف الاسلامي الذي كون سلطنة الفونج الاسلامية سنة ١٥٠٤م (صالح: ١٩٧٢: ١١). لعبت مشيخة الغديات دور كبير في القضاء على الوثنية والمسيحية في كردفان القديمة، حيث ساد الاسلام والعروبة في كردفان وصارت دولة الاسلام.

على كل يظل الاقليم الغربي (كردفان ودارفور) من الأقاليم التي تحتاج الي كثير من الدراسات والبحث والتقصي، وحتى الذي عرف عنه كان ضمن روايات شفاهية فيها كثير من عدم الدقة وتحتاج الي مراجعات. وهنالك ملاحظة جديرة بالاحترام وهي أن انتشار الدعوة الاسلامية قبل قيام مملكة الفونج كان صوريا، فقد اهتم الرواد الأوائل من المسلمين (التجار والبدو) وهم ممن تنقصهم المعرفة الدقيقة بالفقه الاسلامي وفي استمالة المسيحيين والوثنيين الي الاسلام، فركزوا على المبادئ العامة دون التفاصيل، وقد شارك هاتين الفئتين بعض العلماء، ولكن جهودهم ظلت محدودة (حسن٣: المصدر المذكور: ١٣٨).

خاتمة:

لم يتم التعامل مع الآثار الاسلامية فى السودان بصوره جدية وربما يكون السبب عدم وجود دراسات كاملة عن تلك الفترة، خاصة أن التركيز كان على قيام دولة الفونج باعتبارها أكبر كيان سياسي إسلامي تظهر في السودان. كما وأن قلة المعلومات عن السكان والنشاطات التجارية وأماكن الاستيطان وغيرها من الأسباب التي صعبت عملية إعادة بناء الأنماط الاجتماعية والاقتصادية والديموغرافيه للمناطق المختلفة.

وعلى الرغم من ذلك ومن خلال الدراسات التي تمت فى مناطق شمال السودان (المحس – الخندق – الصحابة - ودنميري – دنقلا العجوز) إلي جانب سواكن فى شرق السودان والغرب كذلك (كردفان – دارفور) وعلى الرغم من قلتها إلا أنها تدل وبما لا يدع مجالاً للشك عن وجود فعلى للعرب المسلمين فى السودان فى تلك المناطق خلال تلك الفترة. وهكذا يتضح من الدلائل التاريخية والآثاريه أن العرب دخلوا السودان من القرن السابع الميلادي واستقروا في بعض المناطق وكونوا امارات (مشيخات) اسلامية فيها (السكراب – العمري – الدفار - تفلين - العبدلاب - الغديات).

وقد ساهم البحث في محاولة علمية على فهم التحولات السياسية والاقتصادية والتاريخية والثقافية التي اكتنفت السودان في ذلك الوقت والتاريخ، وقد توصل إلي أن الفترة من القرن السابع الميلادي وحتى القرن الخامس عشر الميلادي كانت عهداً أو عصراً للتحولات الثقافية والحضارية والسياسية وهي الملمح الأول والرئيسي فيما صارت إليه بلاد السودان حيث ساهمت في تشكيل الواقع السياسي والديني والاجتماعي على سودان اليوم.

تمكن البحث من رسم إطار عام لهذه الفترة وإبراز شخصيتها الحضارية الخاصة في المنطقة، من خلال الدراسة التي تمت فيها، عليه أصبحت الفترة من القرن السابع الميلادي وحتى القرن الخامس عشر الميلادي في السودان فترة أساسية في إعادة وفهم التاريخ النوبي الإسلامي وإعادة تركيب التطور التاريخي في السودان. وحتى يتم الوصول للمعرفة الكلية والإلمام التام بتلك الفترة في السودان لابد من إجراء المزيد من الدراسات التفصيلية المتخصصة لكل هذه الأوضاع السياسية، العسكرية، الدينية، الاقتصادية والاجتماعية وإجراء عمليات تنقيب علمية دقيقة ومكثفة بها، ولابد من وضع اعتبار خاص لمعظم المواقع المهددة من قبل السكان وكذلك وقوعها بالقرب من المواقع السكنية والزراعية وفيضان النيل وعلى البحر الأحمر مما يعرضها لدمار كامل ومستمر، وهذا يقود إلى اندثار معظم التفاصيل المعمارية والأدلة الأثرية الأخرى ويجعل فرص دراسة هذه التفاصيل محدودة وذات فائدة اقل إن لم يتم الإسراع وبأسرع فرصة ممكنة لدراستها قبل أن تصل لمرحلة الدمار الكامل.

عليه أصبحت الفترة من القرن السابع الميلادي وحتى القرن الخامس عشر الميلادي فى السودان، فترة أساسيه ومهمة لأثرها على السودان تاريخيا وجغرافيا وديموغرافيا لأنها الفترة التي مهدت لانتصار الاسلام سياسيا في السودان كسلطة حاكمة وراعية بقيام دولة الفونج

الاسلامية في بداية القرن السادس عشر الميلادي. كما ساهمت فى إعادة وفهم التاريخ النوبي الإسلامي بشكل متسلسل وبصوره خاصة وإعادة وترتيب التطور التاريخي فى السودان ككل بصوره عامه.

المصادروالمراجع

المراجع باللغة العربية:

- ابومنقة، الامين محمد. **رحلات الحج واثارها الاجتماعية والاقتصادية في سودان وادي النيل.** ورشة عمل عن طريق الحج الافريقي-قاعة الصداقة. ص ص١-٢٧-٢٠٠٦م.
- البصيلي، الشاطر عبدالجليل. **تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط من القرن السابع وحتى القرن التاسع عشر الميلاديين**. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ١٩٧٢م.
- بكر، محمد ابراهيم. **تاريخ السودان القديم**. مكتبة الانجلو المصرية. القاهرة ١٩٩٨م.
- جباد، محمد بابكر احمد. **تاريخ كردفان من خلال مشيخة الغديات في الفترة ما بين ١٤٥٠-١٨٩٩م**. المكتبة الوطنية. الخرطوم. ٢٠١٣م.
- جبريل، عبدالله علي. **من تاريخ مدينة الفاشر**. المكتبة الوطنية. الخرطوم- ٢٠١٣م.
- حسن١، يوسف فضل. **مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي**. الخرطوم. ١٩٧٣م.
- حسن٢، يوسف فضل. **دراسات في تاريخ السودان**.ج١. الخرطوم. ١٩٧٥م.
- حسن٣، يوسف فضل. **مقدمة في تاريخ الممالك الاسلامية في السودان الشرقي**. الخرطوم- ٢٠٠٣م.
- حسين، حسن. **اهم مدن وطرق القوافل في السودان**. مقال قدم في ورشة عمل عن السياحة.قاعة وزارة الثقافة والشباب والرياضة. ٢٠٠٦م.
- خوجلي، مصطفي محمد. مفهوم مصطلح السودان عبر التاريخ. دراسات افريقية. **مجلة بحوث نصف سنوية**. العدد٢٣. ٢٠٠٠م.
- سعيد، عبدالرحمن ابراهيم. "الاثار الاسلامية في اقليم المحس". **مجلة اداب** -محكمة. مجلة كلية الاداب. جامعة الخرطوم. العدد٣١-ص ص٣١١-٣٣٩ -٢٠١٣م.
- شقير، نعوم. **جغرافية وتاريخ السودان**. بيروت. ١٩٧٢م.
- الشيخ، أحمد المعتصم. **التاريخ الثقافي والحضاري لمنطقة التكاكي في الفترة ١٢٨٠-١٤٨٠م**. رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه. قسم الإثار. كلية الآداب. جامعة الخرطوم. مايو ٢٠٠٢م، غير منشور.

- صالح، محي الدين محمد. **مشيخة العبدلاب و اثرها في حياة السودان السياسية (٩١٠/١٢٣٦هـ) ١٥٠٤-١٨٢١م**. الدار السودانية. ١٩٧٢م.
- الصديق، عبدالهادي. **الحزام السودانية**، جغرافيته وتاريخه الحضاري. مركز عبدالكريم ميرغني الثقافي. ٢٠٠٥م.
- طه، فدوى عبد الرحمن علي. **أستاذ الأجيال عبد الرحمن علي طه ١٩٠١-١٩٦٩م بين التعليم والسياسة وأربجي**، دار الخرطوم للنشر. ٢٠٠٤م.
- عابدين، عبدالمجيد. **تاريخ الثقافة العربية في السودان**. بيروت. ١٩٦٧م.
- عبدالرحمن، احمد حسين. **مملكة المقرة وحضارتها، رؤية من و اقع المعطيات الاثارية الجديدة**. رسالة دكتوراة من قسم الاثار. جامعة الخرطوم-٢٠٠٩م-غير منشورة.
- عثمان، علي. "الثقافة المادية لطريق الحج". ورقة قدمت في **ورشة طريق الحج الافريقي**-قاعة الشارقة-ص ص١-٣٤-٢٠٠٦م.
- عثمان، علي١. "خواطر حول أصول الثقافة السودانية (٢) **"مجلة الثقافة السودانية**. السنة الرابعة. العدد ١٦- ص ص ٣٩-٤٥ الخرطوم ١٩٨٠م.
- عوض، محمد أحمد. **السودان الشمالي**، سكانه وقبائله. القاهرة. ١٩٥٦م.
- فانسينا، جاك. الماثورات الشفاهية. ترجمة د. علي محمود. مطبعة دار المعارف. القاهرة. ١٩٨١م.
- القمر، ربيع محمد الحاج "عبد الله بن أبي السرح لملوك النوبة ٢١هـ وأثاره الاقتصادية". مقال في **مجلة دراسات أفريقية**. جامعة أفريقيا العالمية. مركز البحوث والدراسات الأفريقية. العدد١٧-ص١٤١-١٦٨-يونيو ١٩٩٧م.
- كروباتشيك، ل-"النوبة في نهاية القرن الـ١٣ حتى فتح الفونج بداية القرن ال ١٦-" **تاريخ أفريقيا العام**، مجلد ١٧، ص ٣٩٨-٤٢٢- أشراف ج بناني. اليونسكو. ١٩٨١م.
- مسعد١، مصطفى محمد. **الإسلام والنوبة في العصور الوسطى**. القاهرة. ١٩٦٠م.
- مسعد٢، مصطفى محمد. **المكتبة العربية السودانية**. القاهرة. ١٩٧٢م.
- المسعودي، علي بن الحسين بن علي أبو الحسن. **مروج الذهب ومعادن الجوهر**. نشر دي ميار ودي كورتل -٩ أجزاء. باريس-١٨٧٧م.
- الياس، أحمد حسين. **السودان، الوعي بالذات وتأصيل الهوية**. الجزء الثالث-علاقات السودان بالمسلمين في مصر بين القرنين ٧-١٥م-٢٠١٢م.

- الياس١، احمد حسين-"صلح عبدالله بن ابي السرح مع مملكة نوباتيا عام ٣١هـ - ٦٥٢م". **مجلة حروف**-العدد٢-٣مزدوج-ص ص١١٣-١٢١-الخرطوم-١٩٩١م.

المقابلات الشخصية:

- علي عثمان محمد صالح (مدير مشروع المسح الاثاري والتراثي لمنطقة المحس). قسم الاثار. جامعة الخرطوم. ٢٠١٥م، ٢٠١٦م.

التقارير العلمية:

- ارشيف مشروع المسح الاثاري والتراثي لمنطقة المحس. قسم الاثار. جامعة الخرطوم - ٢٠١٤م.
- ارشيف مشروع مدينة الخندق. قسم الاثار. جامعة الخرطوم.
- ارشيف مشروع المسح والتنقيب الاثاري لولاية شمال كردفان. قسم الاثار. جامعة الخرطوم -٢٠١٥م.

المراجع باللغات الاجنبية:

- Adams, W.Y1 1977. *Nubia Corridor to Africa*. London.
- Crawford, O.G.S 1951. *The Fung Kingdom of Sennar*, Gloucester.
- De Villard, M 1935. *La Nubia Medioevale*, vol.1, Le Caire.
- Green Law, J. P 1976. *The Coral building of Suakin*, Leeds.
- Hinds.M & Hamdi.S 1986. *Arabic Documents from the Ottoman period from Qasr Ibrim*. London.
- Mac Michael, H.A 1922. *A history of the Arabs in the Sudan*, 2vol, Cambridge.
- Osman, A. 1978. *The Economy and Trade of Medieval Nubia*, un-published Ph.D, Dissertation, Cambridge University.
- Soghayroun, I. 1. 1982. *The site of Sennar*, unpublished BA honors dissertation, Dept of Archaeology, University of Khartoum.
- Soghayroun, I. 2. 2004. *Islamic Archaeology in the Sudan*, BAR, CMAA, No.60. Oxford.